

الخبيس 15-11-2007

76- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاغة

ياله من ميدان مترامى الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات وقفت على طوار الحطة أنتظر مقدم الترام رقم 3 والوقت قارب الغيب، أريد العودة إلى بيتي على الرغم من أنه لا ينتظرنى أحد، ويهبط المساء وتغلب الظلام على أضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن آخر الترام 3، وخفت حركة الميدان وقلّ مرور السابلة، حتى كدت أترك وحيداً في الحطة في ميدان خال أنتظر تراماً لا يجئ، وسمعت صوتاً خفيضاً فنظرت فرأيت على مبعده يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعورى بالوحشة واليأس وسألتنى :

- أليست محطة الترام رقم 3؟

فأجبت بالإيجاب وفكرت في مغادرة الحطة وإذا بالتزام رقم 3 يقترّب في هدوء ولا أحد فيه سوى السائق وقاطع التذاكر وشئ من داخلي دعاني إلى عدم الركوب فوليت الترام ظهري، ولبثت على حالي حتى غادر الترام الحطة، ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها، ولما شعرت بعيني ابتسمت وسارت نحو أقرب منعطف، فتبعتها على الأثر..

القراءة

المسرح هذه المرة ميدان مزدحم بالناس (الخلق) والسيارات.

والرقم 3 يعود من جديد، لكنه هنا رقم الترام لا عدد الأشخاص (راجع حلم (3) يومية 25-10)، (حلم (4) يومية 1-11) (ولماذا يرجع؟ أو: ربما لهذا هو ليس حريصاً بالضرورة على أن يسارع بالرجوع).

الوقت يمضي، والظلام يعم، والوحشة تزحف، والميدان يتناقص شاغلوه، وهو يريد أن يعود حتى لو لم يكن ينتظره في بيته إلا الوحدة، لكن يبدو أن خاطراً يخائله أن الوحدة داخل جدران بيته أرحم من الوحدة في ميدان عام، خاصة وأن الميدان نفسه بدأ يعلن بدوره خواءه من الناس "وخفت حركة الميدان، وقلّ مرور السابلة، كدت أترك وحيداً في ميدان خال"

الانتظار يطول، والترام لا يجيء.

الانتظار هو الذى يد الحاضر إلى المستقبل بشكل ماء، ومع ذلك فقد يتجسد عادة في وعينا باعتباره انتظاراً لشخص ماء، حيث ماء لنقله ماء فكرة الانتظار هى فكرة كامنة في التركيب البشرى بصفة أساسية .

التي حضرت، أو أحضرها الانتظار، هى من بنات الليل، وبدلاً من أن يستقبلها الراوى على أنها "فرصة ماء"، وقد حلّ الظلام، ازداد شعوره بالوحشة والناس، ليس هذا التواصل المأجور هو الذى يكسر وحدته في الميدان. ولاهو بديل عن وحدته في بيته حيث لا ينتظره أحد.

حركت البنت شيئاً ما بداخله، لا ليست ...، ليس هكذا تنكسر وحدته، يبدو أن هذا الشيء الذى تحرك بحضورها، هو الذى حركه في الاتجاه المضاد ليغادر الحطة، هو لعبة - آلية: "الكزّ والفرز" على مدى حركية التواصل البشرى.

يلوح الترام في الأفق ليعزى موقفه أكثر، يحضر الترام- بعد طول انتظار- لكنه ، يحضر خالياً من البشر، يحضر ليعلن وحدة جديدة .

الميدان خالٍ، والترام خالٍ: وليس هناك من ينتظره في البيت وظهور البنت - بنت الليل - لم يزد إلا وحشة .. "فازداد شعورى بالوحشة"

فما جدوى أى شئ؟.
ما جدوى الانتظار، وما جدوى ركوب ترام خال من البشر، ترام لم يتميز إلا برقمه، ما جدوى أى شئ .

فليذهب الترام

وليبذهب هو أيضاً
لكنه لم يذهب.

بل أرسل الدعوة إلى الفتاة، (ولمأ شعرت بعيني، ابتسمت)، فمضى وراءها ضد عزوفه الأولى عنها، وضد وحشته البائدة من قدمها.

هل هو تسليم أن هذا النوع من التواصل العملى الوقتى الصفقاتى هو المتاح؟

هل يعود من جديد ينتظر الترام رقم ثلاثة أو ثلاثمائة؟

بطائل أو بغير طائل؟
لم يقدم الحلم إجابات وتركنا نتساءل عن وجهتهما، ومصير وحدة الراوى، ودور الفتاة .

تركنا نتساءل عن مدى انتظارنا لما لا يكون
تركنا بعد أن تحرك فينا كل من الانتظار، والأمل، والوحشة ، والخيرة ...

هل نكف عن انتظار ما لا يأتي ..؟
أم نتبع الموجود بغير طائل واعد؟
أنت وما ترى.

نص الحلم (8)

عندما أقبلت على مسكني وجدت الباب مفتوحا على ضلتيه
على غير (العادة) وجاءتني من الداخل ضوضاء وأصدااء كلام.

دق قلبي متوقعا شرا، ورأيت من أحبابي ابتسامات مشفقة،
وسرعان ما عرفت كل شيء، خلت الشقة من الأثاث الذي كوم في
ناحية داخل المكان .. عمال من متفاوتي الأعمار، منهم من
دهن الجدران ومنهم من يعجن المونة ومنهم من يحمل المياه ..
وهكذا نفذت المكيدة في أثناء غيابي وذهبت توسلاتي في الهواء .

وهل أطيق هذا الانقلاب و أنا على تلك الحال من الإرهاق؟

وصحت بالعمال: من أذن لكم بذلك، ولكنهم استمروا في
عملهم دون أن يعيروني أي اهتمام، وقهرني الغضب فغادرت
الشقة وأنا أشعر بأنني لن أرجع إليها مدى عمري، وعند
مدخل العمارة رأيت أمي مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت
مستاءة، وغاضبة، وقالت لي

- أنت السبب فيما حصل!

فثار غضبي وصحت

- بل أنت السبب فيما حصل وما سوف يحصل
وسرعان ما اختفت، ومضيت في الهرب.

القراءة

يبدو أن منظر الباب المفتوح، والشقة الخالية، والأثاث
المكوم سوف يتكرر في الأحلام بشكل متواتر. لولا نهاية هذا
الحلم ، أو قل لولا ثلثه الأخير، لاعتذرت عن قراءة ناقدا،
لأنه وصل لي لأول وهلة أنه ليس حلما، فقد عشت معه شخصا
بعض هذه التفاصيل، لكنني تراجعت، فقد سحبت ثلثه الأخير إلى
ما هو إبداع يتجاوز الواقع، وذلك حين أعلن الراوي الغضب
فالهرب، ثم تظهر المفاجأة حين تظهر الأم وهو لم يغادر العمارة
بعد، وكأنني أسمع بينهما العتاب حول شأن آخر غير ما أغضبه
حتى خرج طريداً أو هارباً هكذا، لعله شأن قديم بينه وبين
أمه، أم الراوي لا الكاتب(!)، وأن هذا الشيء القديم هو
الأصل الذي ترتبت عليه كل الأحداث، حتى الآن، بل والأحداث
القادمة أيضاً، وما الحدث الأخير إلا رمز لما اختلفا حوله
قديماً وحديثاً".

هو يحملها مسئولية ما حدث وما سيحدث، وهي تذكره بأنه
المسئول، مهما كانت علاقتهما الخاصة هي الخلفية الأعمق لما حدث.

فيصلي أن كلاً منهما مسئول مسئولية ممتدة .

والنتيجة: أنها تختفي

وهو يمضى فى هربه ،
فلا هى تخفى، لأنها ظهرت (وتظهر) بعد رحليها الطويل
ولا يبدو أن هربه سوف ينجح حتى لو كان قراره "ألا يرجع
إلى الشقة مدى الحياة".

- وربما تكون هى المسئولة عن ظهور المهدي المنتظر فى وعى
الناس، حين تتعمق الفكرة مرضاً، تصبح مسئولة عن تقمص بعض
المرضى لهذا المهدي، أو للمسيح الدجال المنتظر أيضاً، وهى -
فكرة الانتظار - تظهر فى كثير من الإبداعات بشكل متواتر.
على سبيل المثال ذلك النبي الذى يحمل قلماً ينتظر نبياً يحمل
سيفاً (ليلى واجنون : صلاح عبد الصبور) أو فى انتظار جودو
(صمويل بيكيت) .